تجارة السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة وتأثيرها على الأمن القومي خلال عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٣- ١١٩٢م)(*)

د/هنيه بهنوس نصر عبد ربه
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية التربية – جامعة دمنهور

الملخص

يتناول موضوع البحث تجارة أبرز السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة، ومدى تأثيرها على الأمن القومي خلال عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٨هـ/ ١١٧٣- ١١٩٢م) ، والتي كانت الدولة الأيوبية خلال عهد صلاح الدين بحاجة ماسة إليها؛ لتحقيق أمنها القومي؛ فكان لا غنى عنها لبناء الأسطول وتسليح الجيش، حتى يتمكن من التصدي للغزو الصليبي للأراضي الإسلامية في المشرق ولا سيما في بلاد الشام.

كما تتناول الدراسة سياسة صلاح الدين في توفير هذه السلع الاستراتيجية من خلال القيام ببعض الإصلاحات الاقتصادية الداخلية، وعقد المعاهدات التجارية مع المدن التجارية الإيطالية (جنوة – بيزا- البندقية)، والتي كانت تربطها علاقات ومصالح تجارية مشتركة مع صلاح الدين.

وسوف تلقي الدراسة الضوء على التحديات والصعوبات التي واجهت صلاح الدين في محاولة توفير السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة، والتي تمثلت في قرارت الحظر البابوي لتجارة هذه السلع مع صلاح الدين، وسيتناول البحث أيضًا آليات صلاح

(*) **مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٨١)، العدد (١)، يناير ٢٠٢١.**

الدين وحلوله البديلة في مواجهة هذه الأزمة، بالإضافة إلى موقف المدن التجارية الإيطالية (جنوة – بيزا– البندقية) من قرارات الحظر البابوي لتجارة السلع الاستراتيجية مع صلاح الدين، ومدى نجاح أو إخفاق سياسة الحظر البابوي في تحقيق الهدف منها، والمتمثل في تهديد الأمن القومي للدولة الأيوبية من التحكم في الصادرات الأوربية إلى الأيوبيين في عهد صلاح الدين؛ لوضع حد لتوسعاته على حساب الوجود الصليبي في بلاد الشام، وإضعاف قوته العسكرية وضرب اقتصاد الدولة الأيوبية.

Abstract

The topic of the study deals with the trade of the most prominent strategic commodities of iron, wood, and weapons, and the extent of their impact on national security during the reign of Saladin (569-588 AH / 1173-1192 CE), which the Ayyubid state during the reign of Saladin was in dire need of. To achieve its national security, it was indispensable for building the fleet and arming the army, so that it could counter the Crusader invasion of Islamic lands in the Orient, especially in the Levant.

The study will also shed light on Saladin's policy in providing these strategic goods, and the challenges and difficulties that Saladin faced in trying to provide them, including the papal ban on trading strategic goods with Muslims during the era of Saladin, the mechanisms of Saladin and his alternative solutions in facing this crisis, in addition to The position of the Italian commercial cities (Genoa - Pisa - Venice) on the papal ban decisions on the trade of strategic goods with Saladin, and the failure of the papal ban policy to achieve its goal, which is the threat to the national security of the Ayyubid state from controlling European exports to the Ayyubids during the reign of Saladin; To put an end to its expansion at the expense of the Crusader presence in the Levant, weakening its military power and striking the economy of the Ayyubid state.

مقدمة

يعد تاريخ مصر زمن الأيوبيين الذي امتد خلال الفترة من (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) حتى (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، ولا سيما فترة حكم صلاح الدين الايوبي(٥٦٩-٥٨٨هـ/ ١١٧٣- ١١٩٢م) مؤسس الدولة الأيوبية من المراحل التاريخية المهمة في تاريخ مصر، فقد عادت مصر في تلك الفترة إلى أحضان المذهب السني، بعد أن استمرت ما يزيد عن قرنين من الزمان تحت سيطرة الحكم الفاطمي الشيعي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م)، كما تعرضت فيه مصر لأخطر حركة غزو في العصور الوسطى وهي الحملات الصليبية، بالإضافة إلى عديد من المشكلات والأزمات سواء السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، والتي أبدى صلاح الدين الأيوبي براعة وحنكة سياسية في التصدي لها، وتمكن من تدعيم أركان الدولة الأيوبية الناشئة فأصبحت من أهم دول العالم الإسلامي آنذاك.

وسوف تلقي هذه الدراسة الضوء على **تجارة الحديد والخشب والأسلحة** بين المسلمين والمدن الإيطالية الثلاث (جنوة[١]، وبيزا[٢]، والبندقية[٣]) خلال عهد صلاح الدين الأيوبي، ومدى تأثيرها على تحقيق الأمن القومي للدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين؛ وذلك لأن سد الحاجة وتعويض العجز من هذه السلع الاستراتيجية[٤] من شأنه أن يساعد على توفير الأسلحة المصنعة الواردة إلى مصر من تلك المدن التجارية، وأيضًا توفير المواد الخام من الحديد والخشب اللازمة لتصنيع الأسلحة، وبناء السفن للنهوض بالجيش والأسطول، وبالتالي تتوفر الآلية التي يمكن من خلالها مواجهة العقبات والتحديات الممثلة في الوجود الصليبي في بلاد الشام.

كما ستركز الدراسة على أزمة الحصار الاقتصادي أو المقاطعة الاقتصادية لتجارة بعض السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة مع

صلاح الدين، والذي فرضه الغرب الصليبي بتأثير الحروب الصليبية، وذلك في محاولة بائسة للإخلال بالأمن القومي للدولة الأيوبية، ولكن صلاح الدين تمكن من التصدي لهذه الأزمة ومواجهة هذا التحدي، ونجح في توفير هذه المواد الحربية الاستراتيجية وبناء الأسطول وتسليح الجيش الأيوبي، كما تمكن من تلقين الغرب الأوربي درسًا قاسيًا لا زال العالم العربي والغربي يسمع صداه، وذلك بتوجيه ضربة قاصمة للفرنجة في بلاد الشام بهزيمتهم هزيمة ساحقة في معركة حطين واسترجاع بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[٥].

وقد كان السبب الرئيس في اختيار دراسة تجارة السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة مع المدن الإيطالية الثلاثة (البندقية ، وجنوة ، وبيزا) على وجه الخصوص أن هذه المدن كانت تقوم بدور الوسيط التجاري لنقل السلع والبضائع الشرقية والمصرية من الموانئ المصرية إلى أوربا، وعلى رأسها التوابل أو الكارم الذي كانت مصر تستورده من الهند والصين ثم تقوم بدورها بتوريده إلى أوربا بعد أن تأخذ حاجتها منه، وأيضًا المنسوجات الكتانية المصنوعة من الكتان التي اشتهرت بها مصر ومعدن الشب والنطرون ودهن البلسان والسكر والتي كانت تمثل سلعًا استراتيجية بالنسبة للغرب الأوربي لا غنى عنها لعدم توافرها في بلادهم أو لندرتها، كما أن هذه الدول كانت تحقق من خلال تجارتها مع مصر أرباحًا كثيرة وذلك من خلال توريد بعض المواد الحربية الاستراتيجية المهمة إلى مصر من الخشب والحديد والأسلحة، والتي كانت مصر بحاجة شديدة إليها في تلك الفترة رغم ما كانت تتمتع به من ثراء كبير[٦].

أولًا- سياسة صلاح الدين في توفير السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة:

كانت مصر منذ أواخر العصر الفاطمي تعاني من النقص في المواد الخام الأولية اللازمة لتسليح الجيش وبناء الأسطول، فمصر ليس لديها غابات – ما عدا غابات السنط- لتزويد صلاح الدين بما يحتاج من الأخشاب، كما لم

تكن هناك مناجم كافية لتزويده بالمعادن الخام اللازمة لتصنيع الآلات الحربية[٧]، ومنذ أواخر العصر الفاطمي أيضًا أصبحت مصر معتمدة بشكل خاص على الغرب الأوربي؛ لتوريد مواد الحرب من الخشب والحديد والأسلحة، فقبل سقوط الشام في أيدي الصليبيين كان باستطاعة المصريين الإبحار ببساطة على الشواطئ الشامية لقطع الأخشاب، ولكن هذه الميزة ضاعت في القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وبالتالي فكان السر في استمرار رخاء البلاد وتحقيق الأمن القومي، هو التجارة[٨].

عند قيام الدولة الأيوبية (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) كان الأسطول المصري في حالة من الضعف والعجز، نتيجة لما تعرض له من الهدم والضرب في أواخر العصر الفاطمي جراء هجمات الأساطيل الصليبية المتكررة على سواحل بلاد الشام، وأدرك صلاح الدين هذا الانهيار منذ البداية عندما دخل مصر لأول مرة مع عمه شيركوه في حملته على مصر[٩] سنة (٥٥٩ هـ /١١٦٤م)، وخلال حصار الصليبيين للإسكندرية (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م) ، وما ترتب عليه من تقهقر قواته داخل المدينة[١٠]؛ ولذلك فمنذ زوال الدولة الفاطمية سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) شرع صلاح الدين في النظر في الشئون البحرية والأسطول، وتعويض العجز في السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة التي كان في أشد الحاجة إليها.

وقد تمثلت آلية صلاح الدين في إدارة هذه الأزمة وتوفير تلك السلع في عدة إصلاحات اقتصادية على الجانبين المحلي والدولي فيما يلي:

١- قام صلاح الدين بإنشاء ديوانٍ خاصٍّ للإنفاق علي الأسطول عُرف باسم "**ديوان الأسطول**"[١١]، تولى هذا الديوان الإنفاق على المشتغلين بالأسطول وعلى النفقة على دور الصناعات، حيث كانت تصنع السفن في مصر في الفسطاط والإسكندرية ودمياط[١٢].

٢- احتكر صلاح الدين شراء المواد الحربية من الحديد والأخشاب بحيث لا

يمكن بيعها ولا شراؤها إلا من قبل الدولة ممثلة في المتجر السلطاني[١٣]، وقد اتبع هذا المتجر سياسة الاحتكار في شراء السلع الاستراتيجية الواردة إلى ميناء الإسكندرية من أوربا من الحديد والأخشاب من خلال فرض رسوم أقل على البضائع المباعة للدولة مقارنة بتلك التي اشتراها الأفراد، وبذلك فقد عرض المتجر شراء سلع مثل الحديد والخشب بأسعار تستقطب التجار الأجانب[١٤].

٣- أصدر صلاح الدين في هذا الشأن أيضًا مرسومًا حظر فيه التجارة مع الصليبيين في المعدات العسكرية، وقد نص هذا المرسوم على" **وتبدى لعلمه الشريف أن مرسومنا الشريف اقتضى أن لا يمكن أحد من نقل سلاح ولا عدة حرب إلى جهة البلاد الرومية. ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالي بأن لا يمكن أحد من نقل سلاح ولا عدة إلى جهة البلاد المذكورة، والاحتراز على ذلك كل الاحتراز، فيحيط علمه بذلك**"[١٥].

٤- كما لجأ صلاح الدين إلى اتباع سياسة الاحتكار في جمع المواد اللازمة لبناء السفن في ضوء الموارد المتاحة في مصر، فاحتكر غابات أشجار السنط التي كانت تنمو بكثرة في وادي النيل وصعيد مصر، ومنع الناس من التصرف في أعوادها، وشدد الحراسة عليها فاعتبرها كأنها من المعادن ليس لأحد فيها ملك ولا اختصاص فهي ملك لبيت المال[١٦].

٥- لم يكتف صلاح الدين بالخشب الموجود في مصر، بل استعان أيضًا بأخشاب الصنوبر التي جلبها من جبال الشام[١٧]، فضلًا عن معدن الحديد الذي كان يستخرج من بعض المناطق الجبلية القريبة من بيروت إلا أنه وُجد بكميات محدودة[١٨]؛ وبذلك يبدو أن ما كان يوجد بمصر وما كان يأتيه من الشام لم يكن يكفي لسد حاجته من تلك السلع؛ وذلك لأن سيطرة الصليبيين على بعض المناطق الاستراتيجية مثل حصن الكرك[١٩] والشوبك[٢٠] أعاق التبادل التجاري بين مصر والشام، مما أدى إلى دفع الرسوم الجمركية على القوافل التجارية القادمة إليها والخارجة منها، بالإضافة إلى تعرض

القوافل التجارية المارة بهذا الطريق لأخطار السلب والنهب وأعمال اللصوصية، بسبب البدو وقطاع الطرق من الفرنجة الذين اعتادو الهجوم المتكرر على القوافل التجارية فأصبح هذا الطريق التجاري غير آمن(٢١)، ورغم ذلك فإن صلاح الدين لم ييأس وعمل على تأمين طريق التجارة بين مصر والشام من الخطر الإفرنجي وحماية القوافل التجارية، وقام بعقد المعاهدات واتفاقيات الهدنة، ولكن يبدو أنها لم تكن تكفي لكف عاديتهم(٢٢).

٦- لجأ صلاح الدين إلى الاعتماد على المدن التجارية الأوربية في التزود بحاجته من تلك السلع الحربية، وفي إطار ذلك عمل على استئناف حركة التجارة والعلاقات التجارية مع المدن التجارية الإيطالية (جنوة، وبيزا، والبندقية)؛ لتوفير مواد الحرب من الحديد والخشب والأسلحة، والتي تعطلت كثيرًا نتيجة الحروب الصليبية الأخيرة التي شهدها أواخر العصر الفاطمي، حيث وقع صلاح الدين معاهدات تجارية(٢٣) لهذا الغرض مع الجمهوريات الإيطالية الثلاث (البندقية، وجنوة، وبيزا)(٢٤)، حصل بمقتضاها على حاجته من الحديد والخشب خلال ذروة الحروب الصليبية، حيث كانت هذه المدن مصدرًا أساسيًّا للمعادن والأخشاب التي تستخدم في صناعة الأسلحة (٢٥).

ولا بد من التنويه على أن العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية الثلاثة (جنوة، وبيزا، والبندقية) قد مرت بفترة من التوتر منذ أواخر العصر الفاطمي، بسبب الحملات الصليبية المتوالية على بلاد الشام، حيث حظيت بتأييد ومناصرة المدن الإيطالية التي كانت تمثل قوة بحرية وتجارية لا يستهان بها في العصور الوسطى(٢٦)، فسارعت إلى قطع علاقاتها التجارية مع الدولة الفاطمية، ومنعت تصدير السلع الحربية إليها من الحديد والسلاح والخشب؛ وذلك في مقابل الحصول على امتيازات تجارية في بلاد الشام ومصر بعد الغزو الصليبي لها(٢٧)، ولكن بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة (٥٦٧ هـ/ ١١٧١م) وقيام الدولة الأيوبية، وضياع آمالها في الحصول على امتيازات تجارية في

مصر لجأت إلى إعادة علاقاتها التجارية مع مصر[٢٨].

كما كانت كل مدينة منها تسعى لتحقيق مصلحتها التجارية الخاصة ولو على حساب بقية المدن الإيطالية الأخرى؛ لذلك كانت هذه المعاهدات فردية مع كل مدينة منها على حدة وفق ما يخدم مصلحتها التجارية ويحقق أهدافها، فقد وقعت مدينة بيزا معاهدة تجارية مع صلاح الدين سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، حيث عملت بيزا على إعادة علاقاتها التجارية مع مصر مرة أخرى بعد أن فشلت في تحالفها مع ملك بيت المقدس في الحصول على امتيازات تجارية في مصر[٢٩]، فقد ذهب سفير بيزا ويدعى (الديبراندوس Aldeprandus) إلى بلاط صلاح الدين لكي يحصل لمواطنيه على تسهيلات تجارية[٣٠]، وتناسى السلطان موقفهم السابق وتأييدهم لعموري (٥٥٨- ٥٧٠هـ/ ١١٦٣- ١١٧٤م) ملك بيت المقدس فوافق على عقد معاهدة تجارية جديدة معهم منحتهم تسهيلات كثيرة وحقوقًا[٣١]، وتنص على **تعهد السلطات المصرية بحماية البيازنة ومتاجرهم وأموالهم في مصر ومن حق البيازنة المقيمين في الإسكندرية امتلاك فندق وحمام وكنيسة، ويتم إعفاء التجار البيازنة من كل السوم المتعلقة بتوريد الذهب والفضة إلى مصر شريطة أن يسلموا ما تبقى لديهم من ذهب وفضة إلى رجال الجمارك في حال مغادرتهم مصر، وسُمح لهم أيضًا باستخدام موازينهم ومكاييلهم ذلك كله في مقابل تعهدهم بالاستمرار في نقل متاجر الغرب وسلعه إلى مصر، وعلى رأسها الحديد والخشب**[٣٢].

أما بالنسبة للبندقية وجنوة فقد استمرت علاقاتها التجارية مع مصر في عهد صلاح الدين، فعقد سفير البندقية معاهدة تجارية سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) مع صلاح الدين حصلت بموجبها على تسهيلات تجارية واسعة لتجارها في مدينة الإسكندرية، كان منها منحهم فندقًا في الإسكندرية بناء على طلب دوق البندقية، وذلك في مقابل التعهد بإيصال شحنات كبيرة من الخشب بانتظام إلى الإسكندرية[٣٣]، كما أبرم سفير جنوة معاهدة تجارية مع صلاح الدين في العام نفسه سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)[٣٤]. ولقد أشار **هايد**[٣٥] إلى أن النصوص

الأصلية للمعاهدات التي عقدتها البندقية وجنوة مع صلاح الدين قد فُقِدت، ولذلك لم تتمكن الباحثة من الوقوف على تفاصيل هذه المعاهدات.

لا شك في أن صلاح الدين كان بهذه الإجراءات يعد العدة وينتظر الفرصة الملائمة للانقضاض على الصليبيين في فلسطين والقضاء عليهم نهائيا[٣٦]، بعد أن تكتمل خطته الاستراتيجية التي كانت تقوم على بناء أسطول قوي وتسليح الجيش، حتى يتمكن من مواجهة هذا الغزو الصليبي للبلاد الإسلامية، فهو لم ينس لهذه المدن الايطالية الثلاثة (جنوة – وبيزا – والبندقية) موقفها المعادي من الدولة الفاطمية، ودورها في تأييد الحملات الصليبية على بلاد الشام، إلا أنه من الواضح أنه اضطر إلى تناسي تلك الحقيقة؛ لأنه في تلك الفترة المضطربة كان يدرك جيداً أن عليه أن يستميل عدوه حتى يتقي شره، وحتى يعمل على عزل الصليبيين في الشام من خلال تقليل قيمة التجارة الصليبية القادمة إليهم من الغرب بعقده علاقات تجارية مع هذه المدن الايطالية الثلاث، التي كانت تقوم بدور الوسيط التجاري بين أوربا ودول المشرق.

كما أن هذه المدن قد رحبت بهذه السياسة في الوقت الذي شعرت فيه أن المكاسب والامتيازات التي نالتها من القادة الصليبيين نظير مشاركتها في الحملات الصليبية على بلاد الشام كانت أقل مما كانت تجنيه من عائدات التجارة مع مصر[٣٧]، بالإضافة إلى رغبة صلاح الدين في تخفيف حدة التوتر مع العالم الغربي المعادي، ولمحاولة ضمان حيادية المدن الإيطالية – التي كانت أساطيلها تقوم بنقل محاربيه إلى الشرق– وتحويلها من العمل الحربي إلى الربح التجاري، وبالتالي قطع طريق المحاربين إليه ليستبدل بهم التجار، وذلك بمنح الامتيازات والتسهيلات التجارية لصرفهم عن احتلال الأرض بتأمين أقصى المصالح فيها[٣٨].

ثانيًا– الحظر البابوي لتجارة السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة مع المسلمين في عهد صلاح الدين:

كان استيلاء الصليبيين على بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م)[٣٩] بمثابة تهديد لمصر، وجعلها في عداوة بالضرورة مع الإمارات الصليبية في فلسطين، والتي بدأت تشعر أن مصر تشكل تهديدًا على استمرار الصليبيين في بلاد الشام، وبالأخص في فلسطين فباتت تسعى للاستيلاء على مصر على اعتبار أن مصر تعد مفتاح المشرق العربي، والاستيلاء عليها يعني أن الصليبيين في الشام في مأمن وقادرين على العيش بشكل مريح وحر في الأراضي المقدسة، وبالتالي فقد أصبحت مصر عرضة لهجمات ملوك بيت المقدس وهدفًا للحملات الصليبية بعد ذلك، ولكن بفضل صلاح الدين الأيوبي تمكنت مصر من التخلص من هذا الخطر ورد هجوم ملك بيت المقدس عن مصر[٤٠]، والاهتمام بتقوية الجيش والأسطول حتى أصبحت مصر من القوى العسكرية الكبرى في العالم الإسلامي، حتى إنها تمكنت من توجيه ضربات قاصمة للفرنجة على الساحل الشامي أكثر من مرة[٤١]، وبذلك فقد صار جوارها يمثل خطرًا على الوجود الصليبي في بلاد الشام مما زاد من كراهية العالم الصليبي لها؛ ولذلك بدأ العمل على توجيه ضربة قاصمة لمصر ووضع حد لهذا الخطر وتهديد أمنها القومي وزعزعة استقرارها وإضعافها حتى لا تقوى على مواجهة الغزو الصليبي.

وجاء على إثر الانتصارات التي حققها صلاح الدين على الفرنجة بساحل الشام إدانت الكنيسة الغربية من جانبها قيام التجار الأوربيين بتوريد الحديد والأخشاب والأسلحة إلى المسلمين في مصر والشام- والذين كانوا في حاجة شديدة إليها- لاستخدامهم هذه المواد في محاربة ومهاجمة الصليبيين، وذلك لرغبة التجار في تحقيق مكاسبهم التجارية المادية دون الوضع في الاعتبار بأن الاستمرار في قيامهم بتزويد المسلمين بهذه المواد الحربية يؤدي إلى الإضرار بالوجود الصليبي في الشرق ويعوق كل محاولة للتوسع؛ ولذلك فقد أصدر البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١١٥٩- ١١٨١م/ ٥٥٤- ٥٧٧هـ) في إطار فعاليات مجمع لاتيران الثالث Lateran III المنعقد بمدينة

روما الإيطالية في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)[٤٢] قرارًا كنسيًّا يحمل رقم (٢٤) ضمن قرارات المجمع والذي نص على: "**منع تصدير المواد الحربية من الخشب والحديد والأسلحة إلى مصر، وأن كل شخص يقدم على بيع حديد أو سلاح أو خشب لبناء السفن، أو حتى يقوم بنقل المسلمين على متن سفن مسيحية يستحق عقوبة الحرمان[٤٣]، بالإضافة إلى مصادرة أمواله وفقد حريته الشخصية، كما يسمح لمن يقبض عليه أن يحتفظ به عبدًا له، كما أمر البابا بأن يعمم هذا الأمر في أنحاء جميع كنائس المدن البحرية بحيث يصدر الحرمان الرسمي ضد من يجرؤ على مخالفة ما جاء في هذا القرار**"[٤٤].

انتشرت هذه القرارت الكنسية في كل الموانئ الأوربية ابتداء من هذا التاريخ، ووجه البابوات تحذيرات صريحة في هذا الصدد لسكان المدن التجارية، ولم يكن في وسع السلطات في هذه المدن إلا أن تردد هذه التحذيرات، وتفرض العقوبات على كل من يسيئون استعمال حرية التجارة، فأصدر قناصل جنوة ودوق البندقية لمواطنيهم مراسيم خاصة بهذا الشأن[٤٥].

وبذلك فقد سعت البابوية بهذا القرار إلى التحكم في الصادرات الأوربية من السلع الحربية إلى مصر في عهد صلاح الدين؛ لوضع حد لتوسعاته على حساب الوجود الصليبي في بلاد الشام، وإضعاف قوته العسكرية عن طريق فرض سياسة الحظر الاستراتيجي، التي تقوم على الوقف القسري للتجارة مع الأيوبيين؛ لإضعاف قوة وسلطة صلاح الدين وضرب اقتصاد الدولة الأيوبية من خلال حرمان السلطان الأيوبي من عائدات الضرائب المفروضة على السلع الواردة والصادرة، وحرمانة من السلع الاستراتيجية التي كان بحاجة ماسة إليها لبناء الأسطول وتسليح الجيش[٤٦].

وبموجب هذا القرار أيضًا "**فإن المتاجرة مع المسلمين في المواد الحربية المحظورة والاستمرار في توصيلها للمسلمين؛ لاستخدامها كسلاح مضاد لمهاجمة المسيحيين يعد جريمة حقيقية صريحة لا بد أن يعاقب عليها**

مرتكبوها، كما يحمل هذا القرار في طياته تهديدات وتحذيرات متنوعة لمن يجرؤ على المتاجرة مع المسلمين في هذه المواد المحظورة تتمثل في: تهديدات اجتماعية (التحول إلى العبودية)، تهديدات اقتصادية (مصادرة الممتلكات)، وتهديدات روحانية (الحرمان)، كما تعد المتاجرة مع المسلمين في تلك المواد الحربية خطيئة تنبع من إحدى الرذائل الرئيسية، وهي الطمع أو الجشع والرغبة في تكديس الأموال حتى ولو كان ذلك على حساب تهديد الوجود الصليبي في الشرق"[٤٧].

وبالتالي فقد لجأت الكنيسة الغربية إلى التوظيف الديني لمسألة المتاجرة مع المسلمين في السلع الحربية؛ إذ حولت قضية التجارة مع المسلمين في المواد الحربية المحظورة من مجرد مسألة عملية إلى قضية أخلاقية روحانية وخطيئة من أجل الضغط على التجار المسيحيين، وإثارة القلق الكنسي الروحاني لديهم كوسيلة أكثر فاعلية لتنفيذ قرار الحظر الاستراتيجي الذي نص عليه القرار الكنسي الرابع والعشرون من المجمع اللاتيراني الثالث[٤٨].

ولقد أعلنت حالة الحظر في مدينة جنوة والبندقية أمام السكان في الأماكن العامة المركزية[٤٩]، وتعهدت البندقية بالالتزام بتنفيذ هذا القرار، وأصدرت خطابًا أو مرسومًا لتجارها عددت لهم قائمة بالبضائع المحظور المتاجرة بها مع المسلمين والتي تمثلت في "**الخشب اللازم لبناء السفن والدروع والسيوف والرماح وغيرها من الأسلحة التي قد يستخدمها المسلمون في مهاجمة المسيحيين، ولكن يسمح للمرء بأن يحمل فقط من الأسلحة ما قد يدافع عن نفسه بها من الأعداء، وهذه لا يمكن بيعها للمسلمين، أما الأخشاب فقد تعهدت البندقية على أن لا يقوم التجار البنادقة بحمل أشجار الصمغ والقيقب والألواح الخشبية العريضة أو المجاديف أو السواريات أو غيرها من الأخشاب ، ولكن يحملون فقط الألواح الخشبية التي لا يزيد طولها عن خمسة أو ستة أقدام**"[٥٠].

ثالثًا– موقف المدن التجارية الإيطالية (جنوة، وبيزا، والبندقية) من

قرار الحظر البابوي لتجارة السلع الحربية مع المسلمين خلال عهد صلاح الدين:

على الرغم من كل تلك التحذيرات والتهديدات الرسمية إلا أنه يبدو أنها لم تنفذ بكل حزم وجدية من قبل المدن البحرية التجارية، ولا سيما المدن الإيطالية التي وضعت مصالحها الاقتصادية فوق كل اعتبار؛ لأن اقتصاد هذه المدن كان يعتمد بشكل أساسي على التجارة، ولم تكن تعمل بالزراعة حتى يتوفر لديهم مصدر دخل آخر(٥١)، وبالتالي فقد استمرت في إرسال سفنها التجارية إلى المشرق، فكانت مدينة بيزا الإيطالية أولى المدن التي نقضت هذه القرارات البابوية حيث رفضت أي قرار لا يتفق ومصلحتها الخاصة، وسعت للحفاظ على مكاسبها التجارية من التجارة مع الدولة الأيوبية، فحرصت على الوفاء ببنود المعاهدة التجارية التي عقدتها مع صلاح الدين سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) عن طريق سفيرها الديبراندوس، والتي تعهدت فيها صراحة بتوريد مواد بناء السفن والأسلحة إلى مصر(٥٢)، حيث كان الحديد جزءًا مهمًّا من صادرات بيزا إلى المسلمين نظرًا لتوفر مناجم الحديد بها(٥٣)، وبعد الديبراندوس توالى ثلاثة سفراء لبيزا إلى مصر خلال الفترة من (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م إلى٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)؛ وقد جاءت السفارة الأولى بتاريخ (رجب ٥٧٢هـ/ ٥ ديسمبر ١١٧٦– ٣ يناير ١١٧٧م) ، أما السفارة الثانية فهي محررة في ١٦ (رمضان ٥٧٤هـ/ ١٥ فبراير ١١٧٩م) أما السفارة الثالثة فتاريخها في (شوال سنة ٥٧٥هـ/ من ٢٩ فبراير إلى ٢٨ مارس ١١٨٠م)، وقد جاءت هذه السفارات لتخليص أسرى الحرب من البيازنة الذين وقعوا أسرى أثناء الحرب بين المسلمين والصليبيين وتجديد الامتيازات التجارية التى كان يتمتع بها البيازنة في مصر من قبل وبصفة خاصة ما يتعلق بجاليتهم في الإسكندرية وحماية التجار البيازنة وأموالهم في مصر والمدن الشامية(٥٤). كما كان البيزيون يحملون إلى الإسكندرية السيوف البيزية المصنوعة في بلادهم خلال الحروب الصليبية(٥٥)؛ لذلك فلا شك أن قرارات حظر التجارة مع الدولة الأيوبية في هذه

المواد من شأنه أن يؤثر على تجارتها وتحقيق المكاسب التجارية؛ وبالتالي فقد رجحت مصلحتها التجارية الخاصة على المصلحة القومية العليا التي كان يراها الغرب الصليبي.

كما استمرت العلاقات التجارية بين مصر وجنوة حيث كانت تمثل الموانئ الإسلامية عمومًا وميناء الإسكندرية على وجه الخصوص جزءًا كبيرًا من إجمالي الاستثمارات الجنوية[٥٦]، كما شهدت الفترة من (٥٦٩هـ/ ١١٧٣-٥٧٩هـ/ ١١٨٤م) نشاطًا تجاريًّا ملحوظًا بين البندقية ومصر[٥٧] ، ومما يؤكد استمرار المدن الأوربية في تصدير المواد الحربية الاستراتيجية إلى صلاح الدين، أن البابا ألكسندر الثالث قد أرسل رسالة إلى دوق البندقية (doge of venice) شاكيًا من أن البندقية لا زالت تبيع الأخشاب لبناء السفن للمسلمين، وذلك على أساس أن التجارة في الأخشاب كانت تخضع لترخيص من الدوق نفسه، مما أثار غضب البابا أكثر لعدم الجدية والحزم في تطبيق القرار (٢٤) من مجمع لاتيران الثالث، كما أمر البابا بطريرك البندقية بأن لا يتوانى عن إصدار قرار الحرمان ضد أي شخص يخالف القرار المعلن في مجمع لاتيران الثالث [٥٨].

رابعاً- موقف صلاح الدين من الحظر البابوي لتجارة السلع الاستراتيجية وآلياته في مواجهة هذه الأزمة:

لا شك أن استراتيجية الحظر البابوي لتجارة الأخشاب والحديد والأسلحة سوف يحرم السلطان صلاح الدين من مصدر مهم للغاية لوارداته الاستراتيجية، ولن تكون مصر قادرة على الاستمرار في بناء السفن الحربية وتصنيع الأسلحة، وتسليح جيشها، حيث كان الغرب الأوربي مصدرًا أساسيًّا للخشب المناسب لبناء السفن كما كان الحديد المادة الخام التي لا غنى عنها، والتي صنعت منها معظم الأسلحة، فكان الغرب الأوربي يرى أن الحصار البحري وسيلة لإنقاذ العالم الصليبي من غارات صلاح الدين بتقويض الجيش الأيوبي من خلال فرض القيود على وصول الخشب والحديد والأسلحة إليه[٥٩].

فعلى الرغم من أن الأخشاب كانت وفيرة في جميع أنحاء السواحل الشمالية المطلة على البحر المتوسط، وكان الخشب يأتي إلى مصر من إيبيريا ومن المغرب ومن شمال سوريا ولبنان وكريت وصقلية، ولكن كان من الصعب الحصول عليه على السواحل الإسلامية بسبب السيطرة الصليبية على شمال سوريا ولبنان، والسيطرة البيزنطية على كريت وصقلية، فكانت أوربا هي المصدر الأساسي للخشب المناسب لبناء السفن، كما لم يكن في مقدور صلاح الدين الاعتماد على المنتج المحلي من الخشب الذي لم يكن يكفي لسد حاجته، ولم يكن بنفس جودة الخشب الأوربي، حيث كانت له سياسة طموحة تقوم على بناء أسطول قوي لمواجهة العدوان الصليبي على الأراضي الإسلامية(٦٠).

أما بالنسبة للحديد فقد استوردت مصر الحديد عبر المحيط الهندي ومن شمال أفريقيا وإيبيريا وسوريا، وكان القريب نسبيًّا من مصر الحديد الموجود في شمال سوريا وأرمينيا، ولكن السيطرة الصليبية على كثير من الأراضي الشامية بما في ذلك المناطق المنتجة للحديد عرقل وصول الحديد إلى مصر(٦١)؛ ولذلك فقد حظرت البابوية تصدير المواد الدفاعية مثل الدروع والأسلحة الهجومية من الأقواس والسهام والسيوف، فضلًا عن المواد الخام اللازمة لتصنيعها من الحديد والخشب في محاولة عملية للحد من القوة العسكرية لصلاح الدين(٦٢).

أمام هذه المعوقات التي واجهت صلاح الدين في الحصول على حاجته من المواد الحربية الاستراتيجية من مصادرها الأصلية؛ بسبب السيطرة الصليبية والبيزنطية على هذه المصادر، كان عليه أن يبحث عن حلول بديلة لتوفير هذه السلع والحصول عليها، وقد تمثلت هذه السياسة في جذب المدن الإيطالية وتشجيع نشاطها التجاري مع مصر ومنحها التسهيلات والامتيازات التجارية، والتي لم تتورع عن نقض القرارت البابوية والاستمرار في علاقاتها التجارية مع صلاح الدين، ونقل السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة إلى الموانئ المصرية على الرغم من حالة الحظر والحرب

المعلنة[٦٣]، ومما يؤكد ذلك رسالة صلاح الدين إلى الخليفة العباسي في بغداد سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، والتي أرسلها بعد إعلان مرسوم الحظر البابوي بقرابة ثلاثة أعوام، والتي تنص على: "**ومن هؤلاء البنادقة- البياشنة والجنوية كل هؤلاء تارة لا تطاق ضراوة ضرهم، ولا تطفأ شرارة شرهم، وتارة يجهزون سفارا يحتكمون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الأحكام المرهوبة؛ وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إليها بإهداء طرائف أعماله وبلاده؛ وكلهم قد قررت معه المواصفة، وانتظمت معه المسالمة، على ما نريد ويكرهون، ونؤثر ولا يؤثرون**"[٦٤].

وبذلك يتبين أنه على الرغم من حالة الحظر البابوي الاستراتيجي والحرب بين صلاح الدين والدول الصليبية، إلا أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين الطرفين؛ نظرًا لحاجة صلاح الدين لما كانوا يحضرونه للدولة الأيوبية من السلع الاستراتيجية من جهة، ولرغبة هذه المدن في تحقيق أكبر قدر من المكاسب التجارية من خلال علاقاتها التجارية مع مصر من جهة أخرى، حيث لم تضع أي اعتبار للجانب الديني والقومي، وإنما وضعت نصب أعينها مصالحها الخاصة، وقد جاءت هذه الرسالة للتأكيد على أن النشاط التجاري للمدن الإيطالية مع الدولة الأيوبية يصب في مصلحة المسلمين لدعم الأمن القومي لهم، وينعكس بالسلب على الأمن القومي للجانب الصليبي؛ لأن هذه المدن تقوم بنقل السلع الاستراتيجية التي تستخدم في قتال إخوانهم الصليبيين، وهو ما كان يسعى إليه صلاح الدين لضرب الأمن القومي للغرب الأوروبي.

وفي إطار التسهيلات التي منحها صلاح الدين لتجار المدن الإيطالية، فقد سمح صلاح الدين لهم بالاستقرار في الإسكندرية وإقامة الفنادق المخصصة لهم[٦٥]، واستمرت السفن التجارية التابعة لكل من جنوة وبيزا والبندقية تقوم برحلاتها التجارية إلى الإسكندرية، وحملت إلى مصر الحديد والأخشاب، كما نقلت من الموانئ المصرية التوابل الهندية والحرير الصيني والمنتجات

المصرية، وذلك على الرغم من الحروب بين المسلمين والصليبيين[٦٦]، فالرحالة ابن جبير (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) الذي زار مصر والشام في عهد صلاح الدين، قد أشار إلى هذه الحقيقة بقوله: "**ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج وسببهم يدخل إلى بلاد المسلمين**"[٦٧]. وبذلك فقد تحدى التجار الإيطاليون بكل وضوح القوانين البابوية التي تحظر التجارة، وتهدد بالحرمان الكنسي؛ لأنها كانت تجارة مربحة بالنسبة إليهم [٦٨].

وبالتالي يُلاحظ أن المصالح التجارية المشتركة بين الطرفين دفع المدن الإيطالية إلى عدم الالتزام بتنفيذ القرارات البابوية الرافضة لاستمرار هذا النشاط التجاري في الموارد الحربية الاستراتيجية، والالتزام بمعاهداتها السابقة المبرمة مع صلاح الدين، والاستجابة لعروضه المغرية لهم بشأن منح التسهيلات والامتيازات التجارية في الموانئ الأيوبية.

خامسًا- إخفاق سياسة الحظر البابوي لتجارة السلع الاستراتيجية مع صلاح الدين والنتائج التي ترتبت عليها:

على الرغم من أن الحظر البابوي كان هدفه منع المزيد من الخسائر الصليبية في الشرق إلا أن هذا لم يتحقق، ففي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) تمكنت قوات صلاح الدين من هزيمة الجيش الصليبي في حطين والتي تعد أكبر هزيمة في التاريخ الصليبي، والتي تعد بمثابة "**صدمة عميقة لأوربا**"[٦٩] حيث نجح صلاح الدين في استرداد بيت المقدس، والاستيلاء على غالبية بلاد الشام[٧٠]؛ ولذلك فقد أثار استمرار النشاط التجاري بين التجار الأوربيين والمسلمين السخط العام في العالم المسيحي، فقد عول الدوق برنارد دوق مدينة بافيا (Bernard of Pavia) خسارة بيت المقدس على استخدام المسلمين للأسلحة التي يزودهم بها التجار المسيحيون في محاربة المسيحيين أنفسهم بقوله: "**إنهم- أي المسلمون- اعتادوا محاربتنا بأسلحتنا كما نعلم، للأسف**

الشديد"[٧١]، وبذلك فإن التجارة في المواد الحربية من الأسلحة وغيرها مع المسلمين وعدم الانصياع للقرارات الكنسية السابقة بشأن هذا الأمر كان أحد أسباب هزيمة الصليبيين في حطين واسترداد بيت المقدس، بالإضافة إلى غيرها من الأسباب الأخرى.

كما أدى ذلك إلى إثارة غضب البابا جريجوري الثامن Gregory VIII (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[٧٢] الذي ألقى باللوم على خسارة القدس على خطايا العالم المسيحي، "**فقد سقط بيت المقدس في يد المسلمين كعقاب للمسيحيين على خطاياهم**"[٧٣]، والتي تمثلت في عدم طاعتهم للقرارت الكنسية التي تحرم المتاجرة مع المسلمين في المواد الحربية من الأسلحة والأخشاب والحديد، والتي استخدمها المسلمون في محاربة المسيحيين في حطين حتى تمكنوا من هزيمتهم والسيطرة على القدس.

وإزاء ذلك دعا البابا إلى واحدة من أكبر الحروب الصليبية وهي الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨- ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)[٧٤]، كما أمر بوقف وحظر كل التجارة مع المسلمين، ولكنه توفي بعد فترة قصيرة من توليه البابوية، قرابة شهرين، ليترك لخليفته البابا كليمنت الثالث Clement III (٥٨٣هـ/ ١١٨٧-٥٨٧هـ/ ١١٩١م) مهمة تنفيذ ذلك[٧٥]، والذي قام بإصدار مرسوم بابوي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧) إلى قناصل الدول الأوربية وإلى جنوة وبيزا، أكد فيه على أن خطايا المسيحيين كانت السبب وراء فقدان القدس، كما أنه تناول مسألة تجارة البضائع الحيوية مع المسلمين وتزويدهم بالبضائع والمواد الاستراتيجية[٧٦].

وقد جاء في نص الخطاب: "**يوضع تحت الحرمان جميع أولئك الذين سوف يقومون بالتجارة مع المسلمين بشكل عام خلال فترة الحروب بين المسلمين والمسيحيين، حيث لا ترسل إليهم البضائع أو تقدم لهم المساعدات**

سواء بتصدير البضائع التي هم في حاجة إليها أو عن طريق وضع سفنهم في خدمة المسلمين أثناء الحرب، وأن من يجرؤ على عصيان ذلك أو القيام بما يخالف ذلك فإنهم لن يقعوا تحت الحرمان الكنسي فقط وإنما سوف تقع عليهم لعنة وغضب المسيح (الإله) الحي"[٧٧].

وبذلك فقد أعاد البابا كليمنت الثالث صياغة نطاق الحظر، فبعد أن كان الحظر جزئيًّا سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) تحول إلى الحظر الكلي الشامل لجميع التجارات والعلاقات الاقتصادية مع المسلمين على إثر الهزيمة في حطين، ولكن رغم ذلك فقد سمح البابا بتسليم البضائع للمسلمين كفدية للأسرى من المسيحيين؛ ولذلك فلا يستبعد أن السلع الاستراتيجية كانت من العناصر التي يمكن استخدامها للحصول على الفدية، وبذلك "**فإن المصلحة التي تعود من تخليص بعض الأرواح المسيحية من الأسر تفوق التأثير الناجم عن تزويد المسلمين بالمواد الحربية لتدمير مناطق النفوذ الصليبية في سوريا**"[٧٨].

ولا شك أن كل هذه الإجراءات ما كانت إلا تمهيدًا للحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de lion (٥٨٥هـ/ ١١٨٩- ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) ملك إنجلترا وفريدريك باربا روسا Frederick Barbarossa (٥٤٧هـ/ ١١٥٢-٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) إمبراطور ألمانيا وفيليب أغسطس Philip Augustus (٥٧٦هـ/ ١١٨٠-٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) ملك فرنسا[٧٩] والتي توجهت إلى بلاد الشام لاستعادة مملكة بيت المقدس، حيث إن الكنيسة الغربية كانت ترغب بذلك في توفير وسائل النقل الكافية للصليبيين، وتجنيد كل الأساطيل الأوربية لخدمة هذا الهدف، بالإضافة إلى أنها لم تكن تثق تمامًا في مدى تنفيذ التجار الأوربيين لقوانينها التي أصدرتها بشأن حظر تصدير المواد الحربية إلى مصر، إذ كانت تخشى من أن هذه السفن تكون محملة بالمعدات الحربية إلى المسلمين لاستخدامها في قتال إخوانهم الصليبيين لتحقيق المكاسب التجارية لهم، حيث كانت تلك المدن تضع نصب أعينها

مصالحها التجارية ومكاسبها المادية أولًا وقبل أي شيء؛ وبناء عليه فلا ريب في أن الكنيسة قد شددت في حظر إرسال السفن الأوربية إلى الموانى المصرية واتخاذ قرارات الحرمان الكنسي وأقصى العقوبات الرادعة ضد من يجرؤ على معارضة قراراتها(٨٠).

ولقد شاركت المدن الإيطاليه الثلاث (جنوة، وبيزا، والبندقية) بأساطيلها في الحملة الصليبية الثالثة استجابة لنداءات البابا من ناحية، وعلى أمل تحقيق مكاسب وامتيازات تجارية في مصر والشام من ناحية أخرى، ولكن هذه الحملة انتهت بالفشل وإن جاز التعبير فقد انتهت بالفشل النسبي حيث تمكنوا من الاستيلاء على عكا بقيادة ريتشارد قلب الأسد سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، ولم تتكمن من تحقيق هدفها الذي قدمت من أجله وهو استعادة بيت المقدس(٨١)، فعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي مرة أخرى، وتناسى الطرفان المسيحي والإسلامي ما بينهما من عداوات، ونشطت التجارة مرة أخرى في مختلف السلع التجارية، وتم التبادل التجاري بين الطرفين، ولا سيما بعد عقد صلاح الدين صلح الرملة سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) مع ريتشارد قلب الأسد(٨٢) والذي جاء مؤكدًا على حرية التجارة وتنقل القوافل التجارية بين المسلمين والصليبيين(٨٣)، ولم تنته العلاقات التجارية بين مصر والمدن الإيطالية بعد وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٢م) فقد سار خلفاؤه على سياسته إزاء تجار المدن الإيطالية، حيث استمرت في نقل الأسلحة والحديد والأخشاب في سفنهم إلى الموانئ المصرية(٨٤).

صفوة القول، فإن اعتماد الدولة الأيوبية على أوربا في تسليح جيشها وبناء أسطولها كان له تأثير كبير على أمنها القومي، فمعنى أن الدولة الأيوبية لم تكن تحقق اكتفاءً ذاتيًا من تلك المواد الاستراتيجية واعتمادها على استيرادها من أوربا قد أثر بصورة سلبية على أمنها القومي، ولا سيما في تلك الفترة العصيبة من العصور الوسطى التي عرفت بالحروب الصليبية، حيث استغلت الدول الصليبية ذلك وعملت على استخدام ما كانت تورده إلى مصر من مواد

حربية استراتيجية من حديد وخشب وأسلحة كسلاح استراتيجي؛ لتهديد أمنها القومي وإضعاف قوتها العسكرية، فقامت بفرض الحصار الاقتصادي أو المقاطعة الاقتصادية على مصر، وحظرت توريد تلك السلع الاستراتيجية إليها أثناء شنها لحرب صليبية جديدة على مصر وبلاد الشام، وذلك في محاولة منها لحماية ودعم أمنها القومي؛ لتحقيق الانتصار على المسلمين ومن ثم السيطرة على مصر وبلاد الشام، وبالتالي تتحقق لهم المكاسب السياسية والتجارية، ولعرقلة الدولة الأيوبية عن تسليح جيشها، وبناء السفن الحربية اللازمة لمواجهة العدوان الصليبي فينهار الجيش والأسطول الأيوبي أمام الغزو الصليبي، وتتحقق المخططات الصليبية في الاستيلاء على مصر، ولكن كل تلك كانت أحلامًا واهية أثبتت الأحداث المتعاقبة زيفها وبعد تحقيقها.

كما تمكن صلاح الدين من إيجاد حلول بديلة لمواجهة الموقف واحتوائه، وتوفير السلع الاستراتيجية من الحديد والأخشاب والأسلحة وتقوية الجيش وبناء الأسطول، وتحقيق الأمن القومي للدولة الأيوبية فنجح في هزيمة الصليبيين في حطين، كما تمكن من التصدي للحملة الصليبية الثالثة التي كانت موجهة إلى الشام لاستعادة بيت المقدس، وبذلك فقد أثبت صلاح الدين براعته وقدرته في إيجاد الآليات والحلول لإدارة هذه الأزمة، والتعامل مع الموقف لاستمرار تجارة السلع الاستراتيجية الحيوية من الحديد والخشب والأسلحة، والتي استمرت بعد وفاته على أيدي خلفائه؛ لدورها البارز في دعم وحفظ الأمن القومي للدولة الأيوبية.

الخاتمة

في ضوء ما تقدم، تمكنت الباحثة من التوصل إلى عدة نتائج، منها:

– إن صلاح الدين قد أدرك منذ البداية تدهور الأوضاع الاقتصادية في مصر، وأن ضعف الجيش والأسطول يمثل نقطة ضعف وجانب عجز؛ ولذلك سعى إلى سد هذه الفجوة من النقص في السلع الاستراتيجية من الحديد

والخشب والأسلحة، والتغلب على هذه المشكلة لتنمية مصادر قوته، آخذًا في الاعتبار قوة الدول الصليبية المجاورة له، والتي كانت في حرب دائمة مع المسلمين في المشرق الإسلامي في سبيل فرض السيطرة الأوربية الكاملة على المشرق، وبالأخص فلسطين وبلاد الشام.

- إن المدن التجارية الإيطالية (جنوة، وبيزا، والبندقية) انتهجت سياسة ازدواجية في التعامل مع المسلمين في مصر والشام، ومع الدول الصليبية الأوربية من ناحية أخرى، فتارة تقوم بتصدير الأخشاب والأسلحة والحديد إلى صلاح الدين، وتارة أخرى نجدها تضع أساطيلها في خدمة الحركة الصليبية، ولا شك أن هذه السياسة كانت تعود عليها بالمكاسب الاقتصادية من كلا الجانبيين.
- أكدت الدراسة على قدرة صلاح الدين على إيجاد آليات وحلول بديلة للحصول على حاجته من السلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة مما ساعد على تحقيق الأمن القومي للدولة الأيوبية، حيث تمكن صلاح الدين من بناء أسطول قوي وتسليح الجيش الأيوبي وتحقيق الانتصارات على الصليبيين في فلسطين .
- النشاط التجاري المتزايد بين صلاح الدين والمدن الإيطالية أدى إلى إثارة غضب العالم المسيحي؛ لأنهم كانوا يمدون صلاح الدين بالحديد والخشب وأدوات القتال التي تستخدم في قتال أشقائهم في بلاد الشام، مما كان له أكبر الأثر على تحقيق الأمن القومي للدولة الأيوبية في حين يعود بالسلب على الأمن القومي للعالم الغربي.
- أثمرت الجهود التي بذلها صلاح الدين في تحقيق الهدف المرجو منها، حيث كان كثير من التجار الأوربيين لا يتورعون عن تزويد صلاح الدين بالسلع الاستراتيجية من الحديد والخشب والأسلحة التي كانت تستخدم في قتال الصليبيين أنفسهم، فلم يكن في مقدور صلاح الدين الحصول على حاجته من الحديد والخشب والأسلحة من الإيطاليين إلا بمنحهم امتيازات كانت من

الأهمية بمقدار التشديد المتزايد لمنع هذه التجارة في الغرب.

- استمرت المدن الإيطالية في تصدير المواد الحربية الاستراتيجية من الحديد والأسلحة والخشب إلى مصر وفق ما تقتضيه مصالحها التجارية ضاربة بقرارات الكنيسة الغربية عرض الحائط.
- ظلت تجارة الحديد والأخشاب والأسلحة قائمة بين المدن الإيطالية وصلاح الدين رغم حالة الحرب والحظر الاستراتيجي الذي أعلنته أوربا خلال عهد صلاح الدين؛ نظرًا للمصالح المشتركة بين الطرفين، كما أكدت على أن التسهيلات والامتيازات التي منحها صلاح الدين للمدن الإيطالية في مقابل تزويده بما يحتاجه من الحديد والخشب والأسلحة في حالة الحرب كان لها أثر كبير على استمرار النشاط التجاري لهذه المدن مع مصر وحفظ الأمن القومي لها.
- لم تؤتِ سياسة الحظر الكلي لجميع التجارات والعلاقات الاقتصادية مع المسلمين، والتي كانت تمهيدًا للحملة الصليبية الثالثة ثمارها وتحقق الهدف المرجو منها حيث فشلت هذه الحملة في استرداد بيت المقدس، وعادت العلاقات التجارية بين الطرفين المسلمين والصليبيين واستمرت تجارة الحديد والأخشاب والأسلحة قائمة بين الطرفين في عهد خلفاء صلاح الدين.
- إن توفير السلع الاستراتيجية من الحديد والأخشاب والأسلحة، وسد العجز فيها، من شأنه أن يحقق الاستقرار والأمن القومي للدولة في حين أن غيابها أو وجود عجز في سد الحاجة منها، لا شك أنه يؤثر بصورة عكسية على تحقيق الأمن القومي لها، فهذه السلع الاستراتيجية تعد ضرورية وحتمية للنهوض بالدولة وتحقيق أمنها واستقرارها.

الهوامش:

(١) **جنوة:** إحدى مدن بلاد الروم الواقعة على الساحل الشامي، وهي مدينة مزدهرة كثيرة المزارع والقرى والعمارات، تقع قرب نهر صغير، وأهلها تجار مياسير يسافرون برًّا وبحرًا بغرض التجارة، ولهم أسطول بحري ودراية بالحيل الحربية. الحِميرى، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس. ط ٢ (بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠ م)، ص ١٧٣.

(٢) **بيزا:** مدينة إيطالية قديمة تقع على ضفتي نهر أرنو في إيطاليا، تشتهر بجرس برجها الرخامي. مصطفى أحمد أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان، **الموسوعة الجغرافية**، ج٤: **المدن والموانئ** (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م)، ص ٥٥.

(٣) **البندقية:** مدينة إيطالية، تعد من أشهر مدن العالم، وتعد من أكبر الموانئ الإيطالية من حيث المساحة، وتضم (١٢٠) جزيرة في البحر الأدرياتيكي، ولها قنوات بدلًا من الشوارع، ويستخدم سكانها في التنقل القوارب بدلًا من وسائل النقل الأخرى. مصطفى أحمد أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان، **الموسوعة الجغرافية**، ج ٤، ص ٤٦.

(٤) تتمثل في السلع الحيوية من المعدات الهجومية الحربية كالأسلحة ومنها، الأقواس والسهام والسيوف، والمواد الخام اللازمة للتصنيع مثل الحديد والأخشاب التي لا غنى عنها في صناعة الأسلحة وبناء السفن.
stantchev, stefan k. ***spiritual rationality papal embargo as cultural practice***, united kingdom:oxford university press, 2014, pp. 24.

(٥) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ص ٢٦– ٢٨؛ وفيق بركات: **الأسطول البحري في الفكر العسكري للناصر صلاح الدين الأيوبي**، مجلة التراث العربي، مج ٩، ع ٣٥ (سوريا: ١٩٨٩)، ص ١٢٥؛ أحمد الشامي: **استراتيجية صلاح الدين الأيوبي في استرداد بيت المقدس**، المجلة العربية للثقافة، مج ١٤، ع ١٦ (تونس: ١٩٩٤)، ص ١٤٦– ١٤٩؛

Murray, Alan V**.** ***The Crusades,*** in Encyclopedia, Volume I: A–C, Oxford, England:ABC-CLIO, 2006, pp. 77.

(٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ج ٢، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، مراجعة: عز الدين فودة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١)، ص ٣٤.

(7) Atiya, Aziz Suryal. ***The Crusade in the Later Middle Ages***. London: Methuen& CO. LTD, First published, 1938, pp.17-18.

(8) Hooper, James B. "***A Calculated Crusade: Venice, Commerce, and the Fourth Crusade,***" in Historical Perspectives: Santa Clara University Undergraduate Journal of History, Series II. Vol. 10, Article 10. *Santa Clara:* Published by Scholar Commons, 2005, pp.102.

(٩) كانت الحملة الأولى لشيركوه على مصر سنة ٥٥٩ هـ/ ١١٦٤م، وقد صحبه ابن أخيه صلاح الدين ليكون تحت قيادة عمه، للانتصار لشاور وزير مصر المخلوع من قبل منافسه ضرغام. ابن شداد: **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)**، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤)، ص ٧٥- ٧٦.

(١٠) الأصفهاني: **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢)، ص ٣٩٢- ٣٩٤.

(١١) المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٥٦م)، ص ٣٣٩؛ وفيق بركات: **الأسطول البحري في الفكر العسكري**، ص ١١٨- ١١٩؛ محمد نغش. **الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٥٥- ٥٦ (المدينة المنورة**: د.ت)، ص ١٨٩.

(١٢) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، ج ٣، ص ٣٣١.

(١٣) كان في الإسكندرية ديوان سُمي"**المتجر السلطاني**"، مهمته شراء جميع **الأخشاب والمعادن التي ترد إلى مصر**، والتي تحتاجها الدولة لأغراض عسكرية، ولا سيما في بناء السفن . فوزي خالد الطواهية: **النشاط التجاري وحركة الأسعار في مصر زمن الأيوبيين**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٤٢، العدد ٢ (٢٠١٥)، ص

٢٩٤؛ أنس أحمد ذياب الأحمد: **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، رسالة ماجستير غير منشورة (الأردن: جامعة اليرموك، ٢٠١٦)، ص ١٢٠.

(١٤) النابلسي: **لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية** (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت)، ص ٤٦؛ فوزي خالد الطواهية. **النشاط التجاري وحركة الأسعار في مصر زمن الأيوبيين**، ص ٢٩٤؛ أنس أحمد ذياب الأحمد، **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ١٢٠.

Hooper, "***A Calculated Crusade***". pp. 101.

(١٥) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج ٧ (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٢٢٥.

(١٦) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، ج ٣، ص ٣٣٩؛ **أحمد مختار العبادي**: في تاريخ الأيوبيين والمماليك (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٥). ص ٤٦، ٤٨.

(١٧) الإصطخري: **المسالك والممالك** (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤ م)، ص ٦٣؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ج ١ (بيروت: دار صادر – أفست ليدن، ١٩٣٨ م)، ص ١٨٢؛ أنس أحمد ذياب: **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ١٣١.

(١٨) محمد كُرْد علي: **خطط الشام**، ج ٤ (دمشق: مكتبة النوري، ط ٣، ١٩٨٣)، ص ٢١٣؛ ستيفن رانسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٣، ترجمة: نور الدين خليل (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٤)، ص ٤١٠؛ أحمد مختار العبادي: **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص ٤٧.

(١٩) **الكرك**: بفتح أوله وثانيه، وكاف أخرى، اسم لقلعة حصينة جدًّا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ط ٢، ج ٤ (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، ص ٤٥٢.

(٢٠) **الشوبك**: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة، وآخره كاف، قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج

٣، ص ٣٧٠؛ ابن عبد الحق: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج ٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ص ٨١٨.

(٢١) أبو شامة: **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**،تحقيق: إبراهيم الزيبق، ج ٤ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٧)، ص ٣٠٤- ٣٠٦؛ الحنبلي: **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، ج ١ (عمان: مكتبة دنديس، دن)، ص ٣٨٧؛ العرب حسين دعكور: **تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم** (بيروت: د. ن، ٢٠١٠)، ص ٢٩٧؛

Nafziger, George F.and Walton, Mark W. ***Islam at War.*** London: Praeger, 2003,pp. 46; Hooper. "***A Calculated Crusade*** pp. 98.

(٢٢) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ١٨؛ **ابن شداد : النوادر السلطانية**، ص ١٣٥؛ عيسى أحمد العزام : **الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر الأيوبي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٠، ع ١ (الأردن: ٢٠٠٣)، ص ٢١ ؛ عبد المجيد بهيني: **أثر الغزو الصليبي على تجارة بلاد الشام الداخلية**، مجلة كلية الآداب، ع ١٣ (المغرب: ٢٠١٢)، ص ٩٠- ٩٦.

(٢٣) لم تكن المعاهدات التجارية التي عقدتها مصر مع المدن الأوربية مفصلة البنود والأحكام كالمعاهدات المعقودة في القرن الرابع عشر وما بعده، وقد اتخذت المعاهدات القديمة شكل عدة خطابات أو أوامر سلطانية، كل خطاب أو أمر منها يتناول شأنًا معينًا فهذا أمر بحسن معاملة التجار، وذلك أمر آخر بتحديد قيمة الضرائب على السلع وهكذا. توفيق إسكندر: **نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط**، المجلة التاريخية المصرية، مج ٦ (مصر : ١٩٥٧)، ص ٣٨.

(24) Chamberlain, Michael. ***"The crusader era and the Ayyubid dynasty".*** in The Cambridge History of Egypt: Islamic History (640- 1517). Edited by Carl F. Petry. Vol.1. Cambridge: Cambridge University Press, 2008, pp. 217.

(٢٥) ستيفن رانسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٣، ٤١٣؛ أحمد مختار العبادي: **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص ٤٧؛ كلود كاهن : **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة: أحمد الشيخ (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥م)، ص ١٨٨؛

Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.102.

(٢٦) عادل زيتون: **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** (القاهرة: دار دمشق، ١٩٨٠م)، ص ١٢٩؛ فوزي خالد علي طواهية: **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي**، ص ١٨٩؛ أنس أحمد ذياب: **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ٢٠٦؛

Stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.31.

(٢٧) هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٤٥-٤٦؛

Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.90-91.

(٢٨) محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب** (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢)، ص ٨١-٨٦؛ هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٤٥-٤٦؛ أنس أحمد ذياب: **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ١٢٤.

(٢٩) على الرغم من أن عموري ملك بيت المقدس قد تحالف مع بيزا لقوتها البحرية سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) لتوجيه حملات بحرية للاستيلاء على مصر وطرد قوات نور الدين محمود منها، فقد انتهز البيزيون فرصة ضعف الخلافة الفاطمية وقيام النزاعات بين شاور وضرغام، وتحالفوا مع عموري (أملريك Amalric) على أمل تحقيق مكاسب في الإسكندرية بعد الاستيلاء عليها، وفي المقابل وضعت أسطولها البحري في خدمة عموري وحولت تجارتها من الحديد والخشب والسلاح إلى خدمته لغزو مصر والاستيلاء على الإسكندرية ولكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث تصدى لها صلاح الدين بعد أن ولاه عليها عمه شيركوه، ولم يستطع البيزيون تحقيق أية مكاسب تجارية، وفي سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) شن عموري غارة على دمياط بمساعدة البيزيين ولكنها فشلت أيضًا تحت أسوار دمياط، ولكن صلاح الدين الذي كان يتولى أمر وزارة مصر للخليفة العاضد الفاطمي تمكن من التصدي لهذه الحملة، وبذلك فإن أحلام عموري ومن معه من البيزيين ضاعت هباء، وانتهى الأمر بأن سقطت الدولة الفاطمية وآل الأمر إلى الأيوبيين. بنيامين التطيلي: **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة: عذرا حداد، دراسة وتعليقات: عبد الرحمن الشيخ (أبوظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٢)، ص ١٥٥؛

ابن شداد: **النوادر السلطانية**، ص ٨١- ٨٤؛ محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، ص ٨١-٨٦؛ هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٤٥-٤٦.

(30) Amari, Michele. *I diplomi arabi* del R. archivio fiorentino: testo originale con la traduzione letterale e illustrazioni, Firenze: Le Monnier, 1863, 257.

(٣١) آ. آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، مراجعة: أحمد غسان سيانو (دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٥)، ص ٣٠٥؛ هايد: تاريخ التجارة، ج ٢، ص ٤٧.

(32) Amari, *I diplomi arabi*, 257-259.

(33) Hooper. "***A Calculated Crusade*** pp.103.

(٣٤) محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب** (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢)، ص ٨١-٨٦؛ هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٤٥-٤٦؛ أنس أحمد ذياب: **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ١٢٤.

(٣٥) **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٤٨.

(٣٦) بنيامين التطيلي: **رحلة بنيامين**، ص ١٥٦؛

Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***. Vol.6, New York: Charles scribner's son, 1901, pp. 193.

(٣٧) فوزي خالد علي طواهية : **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي**، رسالة دكتوراه غير منشورة (عمان، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨)، ص ١٨٨.

(٣٨) شاكر مصطفى: **صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه**، ط ١، (دمشق : دار القلم، ١٩٩٨)، ص ٣٥٨.

(٣٩) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج ٥، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر،١٩٠٠)، ص ٤٥١؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج ٥ (مصر: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دت)، ص ١٤٥.

(٤٠) ابن شداد: **النوادر السلطانية**، ص ٨١- ٨٥؛ هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٣٥؛ Hooper, "***A Calculated Crusade***, pp. 94,98.

(٤١) ففي سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) تمكن صلاح الدين من هزيمة الصليبيين عند حصن مخاضة الأحزان وأمر بهدم الحصن وأسر أعداد كبيرة منهم: الأصبهاني: **حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس «وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي»** (د. م، دار المنار، ٢٠٠٤)، ص ١٤٤؛ أبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣ (مصر: المطبعة الحسينية المصرية، د ت)، ص ٦٣؛ أحمد الشامي: **استراتيجية صلاح الدين الأيوبي**، ص ١٤٣)، وفي سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) أيضًا قام صلاح الدين بشن غارات على الإمارات الصليبية بساحل الشام، كما تمكن من تحقيق النصر على الفرنجه في موقعة مرج العيون وأسر كثير من فرسانهم ورجالهم بلغ ٢٧٠ أسيرًا. الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط ٢، ج ٤٠، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣)، ص ٣١؛ وفيق بركات: **الأسطول البحري في الفكر العسكري**، ص ١٢٣– ١٢٥.

(42) Summerlin, Danica. *"**Three Manuscripts Containing The Canons Of The 1179 Lateran Council***" , in Bulletin of Medieval Canon Law, Vol. 30**,** München: The Catholic University of America Press for the Stephan Kuttner Institute of Medieval Canon Law, 2013, pp. 21- 22;Somerville, Robert . ***Chaos To Order: Clermont, 1095 To Lateran Iv, 1215***. Columbia University, 2016, pp. 280- 282.

(٤٣) **الحرمان:** يعني الانفصال والبعد عن الله بسبب الخطيئة، كما يبعد ويعزل الشخص المخطئ عن مجتمع المؤمنين، ولا يزول الحرمان عن الشخص حتى يتم العفو عنه وعن أخطائه؛

Stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.48

(44) Raab, Clement. ***The Twenty Ecumenical Councils Of The Catholic Church***, London:Longmans,green and co.ltd., 1937,pp.85; Tanner, Norman P..***Decrees of the Ecumenical Councils,***Volume One, Nicaea I to Lateran V,Sheed & Ward and Georgetown University Press, 1990, pp.223; stantchev. ***spiritual rationality papal embargo***, pp.45.

(٤٥) هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٣٧– ٣٨.

(46) **Stantchev, Stefan k.** *Embargo: The Origins Of An Idea And The Implications Of A Policy In Europe And The Mediterranean, Ca. 1100 – ca. 1500,* **PHD (History),University Of Michigan ,2009, pp.25- 27.**

(47) stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, p.48- 49.

(48)stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, p.49.

(49) **Stantchev,** *Embargo, p. 70.*

(50)**Stantchev,** *Embargo,* p**.*53***.

(51) Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.105.

(52) Amari, ***I diplomi arabi***, 257-259

(53) **Stantchev,** *Embargo***, pp. 67**.

(54) Amari, ***I diplomi arabi*** 264, 266 – 268.

(55)Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.102.

(56) **Stantchev,** *Embargo,pp.65- 66.*

(57) Santchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.31.

(58) **Stantchev,** *Embargo,pp. 74.*

(59) **Stantchev,** *Embargo,* **pp. 28, 30 .31, 38- 39**.

(60) **Stantchev,** *Embargo,* p**. 39-40.**

(61) Op. Cit, p**.41-42.**

(62) Ibid, p**.50.**

(63) Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.101 - 105.

(٦٤) ابن واصل: **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج ٢ (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٤٩١؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٣، ص ٩٣؛ ميخائيل أماري: **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع** (بيروت، دار صادر، دت، ليبسك ١٨٥٧)، ص ٣٣٦– ٣٣٧؛ فوزي خالد طواهية : **الحياة الإقتصادية في مصر في العصر الأيوبي**، ص ١٨٩– ١٩٠.

(65) Amari, *I diplomi arabi*, 257-259; Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp.103.

(٦٦) عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية، ص ١٩٠؛

Chamberlain, "***The crusader era***", pp. 217.

(٦٧) ابن جبير: **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٢٧١.

(68) Atiya, ***The Crusade in the Later Middle Ages***, pp.19.

(69) Leopold, Antony Richard. ***Crusading proposals of the late thirteenth and early fourteenth centuries***. Durham theses, Durham University, 1998, pp.11.

(٧٠) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ٢٦- ٢٨؛ وفيق بركات: **الأسطول البحري في الفكر العسكري**، ص ١٢٥؛ هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٣٧- ٣٨ ؛ أحمد الشامي: **استراتيجية صلاح الدين**، ص ١٤٦- ١٤٩؛ كلود كاهن: **الشرق والغرب**، ص ١٩١؛

Lane-Poole, ***A History of Egypt in the Middle Ages***, pp. 208**;** Murray**,** ***The Crusades,*** pp. 77

(71) Stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.47.

(72) **Housley, N.** *"The Crusades and Islam"***.** in Medieval Encounters, *vol.13,* Leiden*:*Brill, 2007, pp. 201.

(73) Stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.50.

(74) Leopold, ***Crusading proposals***, pp. 11; Mack, Merav. ***the Merchant of Genoa:The Crusades, the Genoese and the Latin East, 1187 - 1220s,***Thesis PhD, Cambridge: University of Cambridge, 2003, pp.20; Nafziger. **Islam at War,** pp. 46.

(٧٥) محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠)، ص ١٤٧.

(76) Stantchev, ***spiritual rationality papal embargo***, pp.50.

(77) **Stantchev,** *Embargo***, pp. 77-78**.

(78) Op. Cit**, pp. 78-79**.

(٧٩) أمين معلوف: **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، ترجمة: عفيف دمشقية (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٩)، ص ٢٥٨- ١٦٣؛ وفيق بركات: **الأسطول البحري في الفكر العسكري**، ص ١٢٦؛ قاسم عبده قاسم: **ماهية الحروب الصليبية** (دم: علم المعرفة، ١٩٩٠)، ص ١١٩- ١٢١؛ محمود سعيد عمران: **تاريخ الحروب الصليبية**، ص

١٤٨؛ آسيا سليمان نقلي: **دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية** (الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠٠٢)، ص ٦٢؛

Nicolle, David. ***The Third Crusade 1191 Richard the Lionheart, Saladin and the struggle for Jerusalem,*** Great Britain Osprey Publishing, 2006 . pp. 42

(٨٠) هايد: **تاريخ التجارة**، ج٢، ص ٣٨.

(٨١) ستيفن رانسيمان: الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٥٨؛ محمود سعيد عمران: **تاريخ الحروب الصليبية**، ص ١٥٧؛

Mack, Merav, ***the Merchant of Genoa*, pp. 21-26**; **Housley,** *"The Crusades and Islam*", pp. 202; **Stantchev,** *Embargo, pp.80*; Hooper, "***A Calculated Crusade*** pp. 95-101.

(٨٢) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ١١١– ١١٢؛ ابن العديم: **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، وضع حواشيه: خليل المنصور(بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٦)، ص ٤٢٦؛ محمود سعيد عمران: **تاريخ الحروب الصليبية**، ص ١٧٣– ١٧٤.

(٨٣) المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج ١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ص ٢٢٤؛ أنس أحمد ذياب: التاريخ **الاقتصادي للعصر الأيوبي**، ص ١٣٢؛

Lane-Poole, ***A History of Egypt in the Middle Ages***, pp.211; Murray, ***The Crusades,*** pp.77.

(٨٤) هايد: **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٥٣– ٤٥، ٦٤– ٦٥؛ فوزي خالد طواهية: **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي**، ص ١٩١.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

بنيامين التطيلي (الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي، ت: ٥٦٩هـ/ ١١٧٣).

٢- رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة: عذرا حداد، دراسة وتعليقات: عبد الرحمن الشيخ . أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م.

ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

٣- رحلة ابن جبير. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (د.ت).

الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م).

٤- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس. ط ٢. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.

الحنبلي (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، أبو اليمن، مجير الدين)، (ت: ٩٢٨هـ/١٥٢١م).

٥- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة. عمان: مكتبة دنديس، (د.ن).

ابن حوقل (محمد البغدادي الموصلي، أبو القاسم، ت: بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).

٦- صورة الأرض. بيروت: دار صادر – أفست ليدن، ١٩٣٨م.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس . بيروت: دار صادر، ١٩٠٠م.

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري . بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٣م.

أبو شامة (أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، ت: ٦٦٥ هـ/١٢٦٦م).

٩- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: إبراهيم الزيبق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٧.

ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، ت: ٦٣٢هـ/ ١٢٤١م).

١٠- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي). تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

الأصبهاني (أبو عبد الله عِمَاد الدِّين محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أُلْه، ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

١١- حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس (وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي). دم: دار المنار، ٢٠٠٤م.

الإصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي، ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

١٢- المسالك والممالك. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤ م.

الأصفهاني (عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد، ت: ٩٧ هـ/ ١٢٠٠م).

١٣- **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري . بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

ابن عبد الحق (صفيُّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).

١٤- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.

ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين. ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).

١٥- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).

أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١٦- المختصر في أخبار البشر، مصر: المطبعة الحسينية المصرية، دت.

القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

١٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الكتب العلمية، دت.

أبو المحاسن (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين، ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

١٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مصر: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دت).

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١).

١٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٥٦م.

٢٠- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

النابلسي (عثمان إبراهيم، ت: ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م).

٢١- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت.

ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين، ت: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).

٢٢- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٢٣- معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ط ٢، ١٩٩٥م.

ثانيًا- المراجع العربية والمعربية:

٢٤- آ. آشتور. **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى،** ترجمة: عبد الهادي عبلة، مراجعة: أحمد غسان سيانو. دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٥م.

٢٥- أحمد الشامي. **استراتيجية صلاح الدين الأيوبي في استرداد بيت المقدس.** المجلة العربية للثقافة، مج ١٤، ع ١٦. تونس: ١٩٩٤م.

٢٦- أحمد مختار العبادي. **في تاريخ الأيوبيين والمماليك.** بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٥م.

٢٧- مصطفى أحمد أحمد وحسام الدين إبراهيم عثمان. **الموسوعة الجغرافية**، ج ٤: **المدن والموانئ.** القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٢٨- آسيا سليمان نقلي. **دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية.** الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠٠٢م.

٢٩- أمين معلوف. **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، ترجمة: عفيف دمشقية . بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٩م.

٣٠- أنس أحمد ذياب الأحمد. **التاريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي.** رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن: جامعة اليرموك، ٢٠١٦م.

٣١- توفيق إسكندر. **نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط** . المجلة التاريخية المصرية، مج ٦. مصر: ١٩٥٧م.

٣٢- ستيفن رانسيمان. **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٣، ترجمة: نور الدين خليل. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٤م.

٣٣- شاكر مصطفى. **صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه.** دمشق : دار القلم، ط ١، ١٩٩٨م.

٣٤- عادل زيتون. **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.** القاهرة: دار دمشق، ١٩٨٠م.

٣٥- عبد المجيد بهيني. **أثر الغزو الصليبي على تجارة بلاد الشام الداخلية.** مجلة كلية الآداب، ع ١٣. المغرب: ٢٠١٢م.

٣٦- العرب حسين دعكور. **تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم.** بيروت: (د. ن)، ٢٠١٠م.

٣٧- عيسى أحمد العزام . **الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر الأيوبي.** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٠، ع ١. الأردن: ٢٠٠٣م.

٣٨- فوزي خالد الطواهية: **النشاط التجاري وحركة الأسعار في مصر زمن الأيوبيين،** مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٤٢، العدد ٢. (د.م): ٢٠١٥م.

٣٩- . . . . **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي،** رسالة دكتوراه غير منشورة . عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.

٤٠- ف. هايد. **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،** ج ٢، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، مراجعة: عز الدين فودة . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

٤١- قاسم عبده قاسم. **ماهية الحروب الصليبية.** (د.م): عالم المعرفة، ١٩٩٠م.

٤٢- كلود كاهن. **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية،** ترجمة: أحمد الشيخ . القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥م.

٤٣- محمد العروسي المطوي. **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.** تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م.

٤٤- محمد كُرْد علي . **خطط الشام** . دمشق: مكتبة النوري، ط ٣، ١٩٨٣م.

٤٥- محمد نغش. **الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٥٥- ٥٦. المدينة المنورة:** د.ت.

٤٦- محمود سعيد عمران. **تاريخ الحروب الصليبية.** الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

٤٧- ميخائيل أماري. **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**. بيروت: دار صادر، د.ت، ليبسك ١٨٥٧م.

٤٨- أحمد، مصطفى أحمد وحسام الدين إبراهيم عثمان. **الموسوعة الجغرافية، ج ٤: المدن والموانئ**. القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

وفيق بركات. **الأسطول البحري في الفكر العسكري للناصر صلاح الدين الأيوبي**، مجلة التراث العربي، مج ٩، ع ٣٥. سوريا: ١٩٨٩م.

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

49- Amari, Michele. ***I diplomi arabi*** del R**.** archivio fiorentino : testo originale con la traduzione letterale e illustrazioni, Firenze : Le Monnier, 1863.

50- Atiya, Aziz Suryal. ***The Crusade in the Later Middle Ages***. London: Methuen& CO. LTD, First published, 1938.

51- Chamberlain, Michael**.** ***"The crusader era and the Ayyubid dynasty "*.** in The Cambridge History of Egypt: Islamic History (640- 1517). Edited by Carl F. Petry. Vol.1. Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

52- Hooper, James B. "***A Calculated Crusade: Venice, Commerce, and the Fourth Crusade,***" in Historical Perspectives: Santa Clara University Undergraduate Journal of History, Series II. Vol. 10, Article 10. *Santa Clara:* Published by Scholar Commons, 2005.

53- **Housley,N.** *"The Crusades and Islam"***.** in Medieval Encounters, *vol.13,* Leiden*:*Brill, 2007.

54- Lane-Poole, Stanley. **A History of Egypt in the Middle Ages**. Vol.6, New York: Charles scribner's son, 1901.

55- Leopold, Antony Richard. ***Crusading proposals of the late thirteenth and early fourteenth centuries***.Durham theses, Durham University, 1998.

56- Mack, Merav. ***the Merchant of Genoa:The Crusades, the Genoese and the Latin East, 1187 -1220s,***Thesis PhD, Cambridge: University of Cambridge, 2003.

57- **Murray, Alan V.** ***The Crusades,*** *An Encyclopedia*, Volume I: A–C, Oxford, England: ABC-CLIO, 2006. Nafziger, George F.and Walton, Mark W. ***Islam at War.*** London: Praeger, 2003.

58- Nicolle, David***. The Third Crusade 1191 Richard the Lionheart, Saladin and the struggle for Jerusalem,*** Great Britain Osprey Publishing, 2006.

59- Raab, Clement. ***The Twenty Ecumenical Councils Of The Catholic Church***, London:Longmans, green and co.ltd, 1937.

60- Somerville, Robert. ***Chaos To Order: Cle, 1095 To Lateran Iv, 1215***. *Columbia University, 2016.*

61- **Stantchev, Stefan k.** *Embargo: The Origins Of An Idea And The Implications Of A Policy In Europe And The Mediterranean, Ca. 1100 – ca. 1500*, **Phd (History), University Of Michigan ,2009.**

62- stantchev, stefan k. ***spiritual rationality papal embargo as cultural practice***, united kingdom:oxford university press, 2014.

63- Summerlin, Danica. "***Three Manuscripts Containing The Canons Of The 1179 Lateran Council***", In Bulletin Of Medieval Canon Law, **Vol. 30,** München: The Catholic University Of America Press For The Stephan Kuttner Institute Of Medieval Canon Law, 2013.

64- Tanner, Norman P..***Decrees of the Ecumenical Councils,*** Volume One, Nicaea I to Lateran V, Sheed & Ward and Georgetown University Press ,1990.